

الأعداد 05-09-2010

1101- نجيب محفوظ يلطم بسعد زغول، ومصطفى النحاس، ومكرم عبيد

تعتة الوفد

أول أمس كانت ذكرى موعد انتقال نجيب محفوظ إلى حبيبه رب العالمين، 30 أغسطس 2006، وبرغم أنه القائل "آفة حارتنا النسيان"، إلا أنني أكاد أجزم أن مصرنا واحداً، يكاد يجروء، أو يستطيع، أو يريد أن ينسى هذا الرجل، فهو - حقيقةً وذكرى- الذي يظل يطمئن كل واحد فينا أنه يمكن أن يقول من جديد : أنا المصري كريم العنصرين". ظهر كل من : سعد زغول ومصطفى النحاس في أحلام فترة النقاها، كما ظهر مكرم عبيد، واستلهمت أحلاماً ثلاثة فخرجت منى تقاسيم متواضعة " هوامش على المتن" هكذا:

نص اللحن الأساسي: (حلم 73)

وجدتني في البيت القديم بالعباسية، ويبدو أنني كنت متكدر المزاج فلم يسلم من نقدي شئ مثل طلاء الجدران وخشب الأرضية والأثاث حتى جاءني صوت أمي من أقصى الشقة وهو يقول .. بنبرة باسمه.. لطيفة: إنه آن الأوان كي أبحث بنفسى عن شقة جديدة تعجبني.

وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتني في بهو متعدد الحجرات والأشخاص، يوحى منظره بأنه مصلحة حكومية. وأكد ذلك مجي زميلي المرحوم ح. أليخبرني بأن الوزير أرسل في طلي، وذهبت على فوري إلى حجرة الوزير واستأذنا ودخلت. ورأيت الوزير على غير عادته من البشاشة وقال لي أنه علم بنقدي للثورة وزعيمها فساءه ذلك فقلت له إنى أعتبر نفسى متيماً بمبادئ الثورة ولم أكن من رافضيها غير أنى تمنيت دائماً لها الكمال وتجنب العثرات والنكسات.

وانتقلت إلى مكان وزمان آخرين فوجدتني صبياً يتجول في ميدان بيت القاضى، وجاءني صديق في مثل سنى يدعوني لحضور حفل زفاف شقيقه الأكبر، وقال إن شقيقه دعا سعد زغول ليشراف الفرحة ويباركه وأنه قبل الدعوة ووعده بالحضور. فدهشت دهشة كبرى وقلت له بأن سعد زغول هو زعيم الأمة فضلاً عن أنه اليوم رئيس وزرائها. وأنتم لستم من أقربائه ولا من زملائه في جهاده، فقال إن سعد هو زعيم الأمة حقاً ويخص البسطاء

بوافر الحب وإننى سوف أرى.

وفي الميعاد ذهبت إلى الحفل في درب قرمز ومضى بي صديقى إلى حجرة فرأيت في الصدر سعد زغلول في بدلة التشريفية يجلس معه ويتبسط معهما في الحديث ويشاركهما الضحك، بهرت بما رأيت انبهارا استقر في أعماقى.

تقاسيم على المتن:

... تقدمت إليه وأنا في حال لا أكاد أصدق، قلبى يكاد يطير من صدرى، لا أتصور أن القدر سيسمح لى أن ألمس أطراف أصابعه. لا أعرف كيف لحنى بين الحضور، والأغرب أننى لا أعرف كيف عرف اسمى حتى نادانى به، وهو يشير لى أن أقدم. رحت أقفز بين الموائد وأنا أقصر نفسى لأتأكد أننى لست في حلم، وحين وصلت لى حيث يجلس فوجئت أنه اختفى وحل محله النحاس باشا؛ غمرتنى فرحة أخرى فأنا أحب الرجلين، لكن لكل حب طعم مغاير، وما كدت أمد يدي للسلم حتى وجدت بدا غير اليد، فرفعت رأسى فإذا به مكرم عبيد. ما غمرنى هذه المرة هو احترام أكثر منه حب. وهل هناك فرق؟

بعد أن وقف لى يصفحنى وقبل أن تلتقى يدي بيده أحسست بقبضة تطبق على كتفى، فالتفت ورائى وإذا بضابط شرطة على كتفه علامات لامعة كثيرة، ينظر لى باستعلاء قائلا:

"أنت متهم بقتل أمك".

فزعت لموت أمى أكثر مما فزعت لاتهامى بقتلها.

فتح على الشرطى الزنزانة وأخبرنى أن الرئيس يطلبنى شخصيا، وأنه حدث خطأ فى الأسماء. وأن اسمى من بين المرشحين للوزارة، فظننت بعقل الشرطى الظنون، لكنه أطلق سراحى فعلا، فانطلقت لى الفضاء كأنى أطيء، ولم يخطر على بالى إلا محاولة التمادى فى الخلاص، وكنت قد نسيت تماما رسالة الرئيس والوعد بالوزارة.

فى الشارع، فى بيت القاضى من جديد، وقد عدت صبيا مرة أخرى، عاد صديقى شقيق العريس يقول: أسرع فالزفة بدأت، وما كدنا نعدو بجوار بعضنا لنلحقها حتى سمعنا صفارة إنذار، وأطفئت الأنوار جميعا، وانبطح بعض الصغار على الأرض، وجلست أنا القرفصاء ، وحين أطلقت صفارة الأمان، وعادت الأنوار، وجدت الشوارع كلها خالية، لكنى لحت شبح أمى قادمة من بعيد،

وحين اقتربت منها قالت فى حنان متألم: ألم أقل لك؟!

فقلت لها: ساحينى، يبدو أننى بالغت فى نقدى بيتنا القديم.

نص اللحن الأساسى: (حلم 154)

دفعتنى أنا وصديقتى المذيعه أمواج متلاطمة من البشر حتى توقفت فى ميدان صغير أمام سد من البشر لا يسمح بِنفاذ إبرة ونظرت فرأيت فى الجهة المقابلة محل الحلوانى الذى اعتدت أن

أفطر فيه ولكني لم أستطع الحركة وقلت لصاحبي إن برنامجها عن النصر سيتعطل قليلاً، فقالت: على كل حال أنا عندي خبر مثير، فقد مات في الزحام المجاهد الكبير مكرم عبيد فحقق قلبي حزناً على موت البطل وهناك رأي نادل محل الحلواني فوضع بعض الأرزفة في كيس من الورق ووقف على كرسي ورماه من فوق الرؤوس فتلقفته بلهفة وفتحته ولكن يد صاحبتى سبقتني إليه وهي تهمس بالمعذرة، وأنا أكاد أموت جوعاً، ثم مدت يدي داخله فلم أجد سوى بعض المخلل الأفرنجي.

تقايسم على المتن:

.... التفت إليها وأنا أشك أنها أخذت كل ما كان في الكيس إلا المخلل قبل أن تلقيه إلى ضاحكة، وسألتها عن ذلك، فقالت إن المخلل هو أنسب للحزن الذي غلبك، أما أنا فيلزمي كل ما هو حلو وطازج لأكمل برنامجي عن النصر بعد إزالة العطل، قلت لها، وهل ستغيرين الفقرات بعد موت الزعيم؟ فقالت لي: وهل هو أفضل من سعد أو النحاس، لقد ماتا من قبله ومازلنا نحتفل بالنصر، قلت: أي نصر هذا؟ وحتى المخلل إفرنجي؟ قالت: أليست معي أنه أفضل من المخلل البلدي؟ أم أنك تريد أن تتسمم بلا علاج؟

وافترقنا دون أن ينصلح العطل.

نص اللحن الأساسي: (حلم 158)

كلفني الوزير بالتنقيب في مخزن الفن التشكيلي بالوزارة تمهيداً لإقامة معرض فأخذت مجموعة من الفراشين لإزالة الغبار وقتل الحشرات ولاحظت وجود لوحة كبيرة مغطاة فأزحت الغطاء عنها فطالعتني صورة الزعيم سعد زغلول جالساً على كرسي الرياسة وشابكاً يديه فوق عصاته. فتأثرت لإهمال الزعيم الذي تربيت في مدرسته الوطنية وإذا بالحياة تدب في الصورة فترمش عيناه ويبدل يديه فوق العصا ويتجلى في عظمة لا مثيل لها وسرعان ما جاءت الوفود من أبناء جيله تحييه وتشكو إليه ما أصابها من ظلم وسرعان ما نسيت تعاليم الوزير والمهمة التي انتدبت لها وانضمت إلى أكبر مجموعة وهي التي كان يتقدمها مصطفى النحاس.

تقايسم على المتن:

.... لم أصدق أنني أسير بالصف الأول على يسار النحاس باشا شخصياً، ولا يفصلني عنه إلا صاحبة العصمة ومكرم عبيد، تطلعت إليه دون أن أتفت، لكن قامتي القصيرة حالت دون أن أرى وجهه، فشككت أنه النحاس باشا، فالتفت إلى يميني فلم أجد لا صاحبه العظمة ولا مكرم عبيد، وابتدأت الهواجس تراودني، لكن سعد باشا كان أمامي ونحن نتقدم إليه وهو يبدل يديه فوق العصا، فما أنا فيه حقيقة ماثلة، ولكن أين ذهب الباقون؟ لا بد من التوقف أو التراجع للخلف لأتأكد أنه النحاس باشا، وأنى في حمايته، وفجأة أطفئت الأنوار، وأحاطنا ظلام خبيث، وحين أضيئت عرفت أنهم تخلصوا من الصورة بمن فيها ودفنوه حياً، وقبضوا على كل المعزين بعد نهاية آخر جزء من القرآن الكريم، ولم يهتموا بي لصغر سني.